

المحاضرة الثامنة :

" ديالكتيك الكفاءات في الفلسفة (المزالق)" .

" مزالق تدريس الفلسفة في ظل المقاربة بالكفاءات "

تمهيد :

مادة الفلسفة وعلى غرار المواد الأخرى معارفها معرضة للخلخلة ، وهذا راجع إلى عدة معطيات جعلها عرضة للتهميش أحيانا وللإقصاء أحيانا أخرى .

وهذا لا يختزل على المستوى التعليمي بل حتى الثقافي والاجتماعي .

وبناء على ذلك فإن أهم صعوبات مادة الفلسفة في التدريس تنبع من مشكلات على مستوى التلاميذ ، ومن طبيعة المادة الفلسفية في حد ذاتها ، والأساتذ والظروف المحيطة بعملية تدريس الفلسفة .

هذه الظروف والعوامل يمكن تمثيلها كالتالي :

● انفراد مادة الفلسفة بخاصية وجهات النظر وهي لا تخرج بالرأي الحاسم والقاطع في المباحث الفلسفية ، ولعل هذا راجع لحقيقة الفلسفة التي تكمن في انقسامها على باب الإشكالات والتساؤلات .

● تتحدى مادة الفلسفة هيمنة السلطات والعادات والآراء أن هدفها النقد والتفكيك والهدم وإعادة البناء . ولكن هذه الطبيعة قد تختلف صعوبة بالغة في تدريس ذلك نتيجة لتعدد الآراء إذ لا تستطيع الأخذ بكل الآراء كونها تؤدي إلى اضطراب وتشتت في تفكير التلاميذ خاصة وأنهم في مرحلة عمرية قد لا تناسب هذه المجالات وقدراتهم العقلية .

● قد ترجع الصعوبات أيضا لطبيعة المواد الفلسفية التي تتميز بالتجريد والغموض المؤدية إلى صعوبة في توصيلها للتلاميذ . لكن هذا ليس راجع للمادة بل إلى كيفية ونوعية وطرق إيصالها للمتعلم بحمولة من الأفكار المتحجرة وعدم تبسيطها للوقائع

إن الفلسفة شأنها شأن العلوم الأخرى في تطوير دائم لكن المقرر الدراسي لمادة الفلسفة لا زال يعالج إشكاليات شمولية ميتافيزيقية ولاهوتية في المباحث الفلسفية وهذا ما يجعل المتعلم على هامش فلسفة العصر بتطورات وتمثلان عمومية حول الفلسفة والفلاسفة رغم وجود تطور هائل في الفكر الفلسفي المعاصر .

كما تتجسد بعض المزالق في تحول الدرس الفلسفي الذي يفترض فيه تدريس المتعلمين وتدريبهم على التفكير الحر واكتساب آليات حل إشكاليات القضايا الفلسفية وخلق إبداع المفاهيم وطرق ومناهج إلى ترويج الدعاية الإيديولوجية لكل أنواعها .

وهو منزلق ظل يحاصر الدرس الفلسفي . وهو أيضا ما رصد في المسار التاريخي لمادة الفلسفة في صراع الأفكار وهيمنة السلطات والمعتقد .

كذلك أصبح تدريس الفلسفة أو الدرس الفلسفي بين الخصومية والإكراه من خلال فقدان جوهره في تساؤلات النقد والتحليل والتركيب والمواقف والآراء والنصوص الفلسفية .

ناهيك عن تعود التلميذ على عملية روتينية وآلية تقتل المواهب عوض تفتقها كالحفظ والتكرار انطلاقا :

(بضاعتكم ردت 'ليكم) أو (فأحفظ فكل حافظ إمام) .

وهذا يشكل صعوبة كبيرة لأستاذ الفلسفة في كيفية جعل التلميذ يعاني من التساؤل الفلسفي وعدم مشاركته مشاركة فعالة في بناء الدرس الفلسفي بين المعلم والمتعلم .

عدم قدرة المتعلم على استثمار معطياته الفلسفية النظرية في حصصه التطبيقية كتحليل النصوص وكتابة المقال .

انعدام الحرية في بعض الأحيان في عملية فصل الدرس التطبيقي والإمكانيات التي نلمسها في التعامل بين الجانب النظري من جهة والجانب التطبيقي من جهة أخرى .

صعوبة العثور على النصوص الخصبة ومن مصادرها لتحفيز المترشح على استثمار وتوظيف رصيده الفلسفي . وهذا بطبيعة الحال لا يتيسر دائما وفي كل الحالات ذلك أن بعض الأساتذة يختارون أحيانا نصوص أقرب إلى الأدب منها إلى الفلسفة ، بل أقرب إلى السرد التاريخي ليس إلا .

إن استقراء الواقع يثبت أن الأستاذ نفسه منزلق من مزلق الدرس الفلسفي وذلك يعود إلى قلة التربص ودورات التكوين من طرف المنظومة التربوية في حد ذاتها .

وأخيرا على الأستاذ الفلسفي أن يكون عصامي في تكوين ذاته بذاته على غرار العديد من الفلاسفة والأدباء .